رقـــص

علياء بسيوني

رقص/ قصص

علياء بسيوني

الطبعة الأولى ، ٢٠١١

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ ش عبد الهادي الطحان ، المرج الغربية

موبايل: ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تصميم الغلاف :

احمد مراد

رسوم داخلية:

ياسر خاطر

رقم الإيداع : ٢٠١١/٢٢١١

ISBN: ٩٧٨-٩٧٧-٤٨٨-١٢٠-٤

رقص

قصص

علياء بسيوني

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

إلى روح جدتي..

أمي التي لم تلدني .. والتي طالما قالت: إن من رقص..نقص

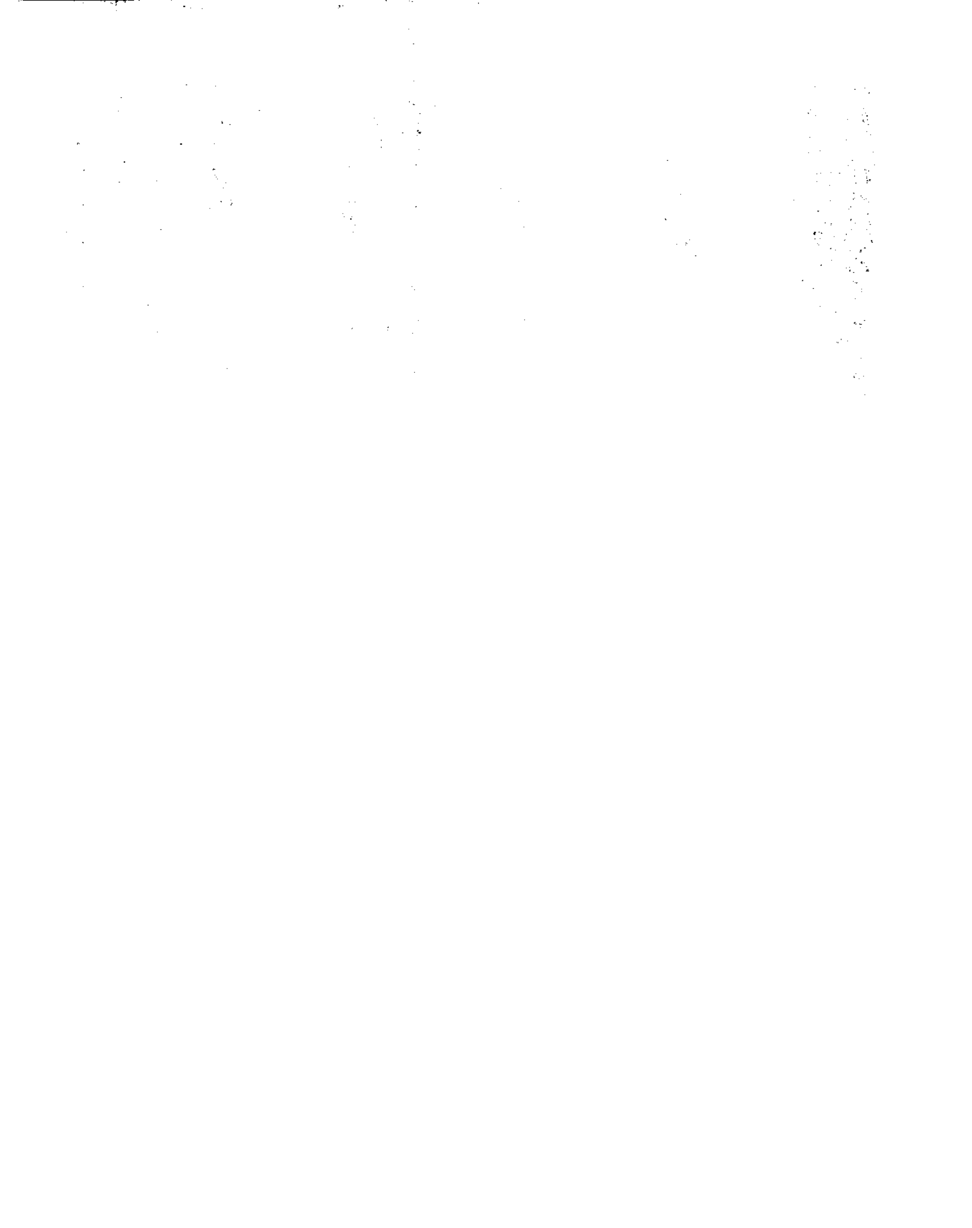
وإلى المدينة...

أمي الحقيقة.. والتي علمتني.. أن النقص فصلٌ.. لا تتمّ الحياة..بدونه.



وإليه..عالي المقام..

محمد الغزالي



تقويم



الجمعة..

فصل في الفراغ.. والنصب

{فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (٧) وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}

سورة الشرح ٧–٨



كنت ألبس ظلاً استبقته كثيرا على الطرقات الرمادية حيث يسكن.

معرفتي بالموت كانت قديمة ..لكنه أبداً لم ينجح في مخاطبتي بظله الطويل...حاولت صرف نظري عن سواي ..فتشاغلت بعدّ الكراسي المتبقية بالطرقة والتي لم تجد من يسكنها بعدُ؛ كي يأخد قهوةً.. ويملأ الفراغ حوله..بالكثير من مرادفات التصعب والترحم..أو أحاديث الفراق.

الصبي الصغير الذي يجلس بعيداً ويشبهني حين يزمّ شفتيه ..في مثل عمري حين التقيت بالموت أول مرة.. جلست على طرف الفراش وقلت للظل الطويل الذي كان خالي ساعتها...

"حاسس إنكم هتخرجوا من ورا البيبان وتقولوا إنكم بتضحكوا علي...خالي مامتش".

بعدها بأيام اتصلت حسب وصية "منال" زميلتي بالصف برقم سبعة سبعات كي أتحدث إلى الشيطان..وأساله عن خالي.. لا أعرف لماذا انتويت سؤال الشيطان عن خالي..على الرغم من أن أمي كانت تصفه دائما بكونه "عند ربنا"...فيما بعد سخرت منّي "منال"قائلة : إن الشيطان لايُسأل عن أحد..ولكن يُسأل عن طائر الموت الذي لا نعرف عنه الكثير.

قهوة أخرى تمر أمامي..لماذا يتجاهلني النـــادل .. رائحـــة القهوة تملأ ذاكرتي بمرادفات عملي القديم.. "منـــال أخـــرى" تلومني على الإفراط في تناولها وتحاول أن تنبش في قلـــبي لهـــا مكان

"هتقتل نفسك في يوم من الأيام"..

ترفق الجملة ذاتها كل يوم مع مـــشهدي منكفئـــاً علـــى فنجاني...حين جال ظلها الطويل بنتؤات قلبي.. عرفت أن مـــا فاتني من المعرفة بطائر الموت ليس بكثير.

لم يعد ســـوادي حـــائلا يكفـــي ليمنـــع الـــصغير مـــن متابعتي..وصنع تعبيرات تتقلب سريعاً.. بين الغضب..وابتسامة طويلـــة ممطوطـــة..تكـــسرات متنوعـــة علـــى شـــفتيه وحاجبيـــه..تعـــبيرات مـــستفزة ..وتعـــبيرات مـــسالمة تجاهلته بمتابعة أخي محمر الأنف ..لماذا يجلس هناك أمام الجميع كي ينتحب..أنا اخترت مكاناً شديد الانزواء كـــي أترصـــد الطائر الذي حيرني كثيراً..وتحسبا للمطر الخفيف الـــذي قـــد تسمح به الأجواء.

"إنت بتعيط"

قالتها بلهجة غير مصدقة وهي تنهض، من الفراش الـــضيق الذي سمح لنا صديقي باستخدامه.. لم أعرف لماذا اختنقت وأنا

أرى مرمرها مسكوبًا تحت جلدي..هل لأني أمسكت نفسي متهمًا بخيانة لا بداية لخيوطها ..أو لأني فكرت في طائري المجهول في غمرة انفعإلى بها..

"منال..أنا آسف"

و لم أكمل.. لأني خائن فى قدر لا أملكه ..ولأني بارد كظل طويل.

الصغير بدأ في التنقل بين الكراسي الفارغة..أفكر فيما أفعله لو اقترب مني..هل أرده في صمت..أم أخبره عن تلك الأشياء التي لا يعرفها عن طائر الموت يجلس على الكرسي حيث أجلس.. فأنهض خلف ظلي الذي استبقته طويلا على طرقات حياتي الرمادية..وجاء الآن ليخبرني بتلك الأشياء التي لم أكن أعرفها عن طائر الموت ألقيت نظرة على الصغير...ثم أتبعت الظل في صمت.



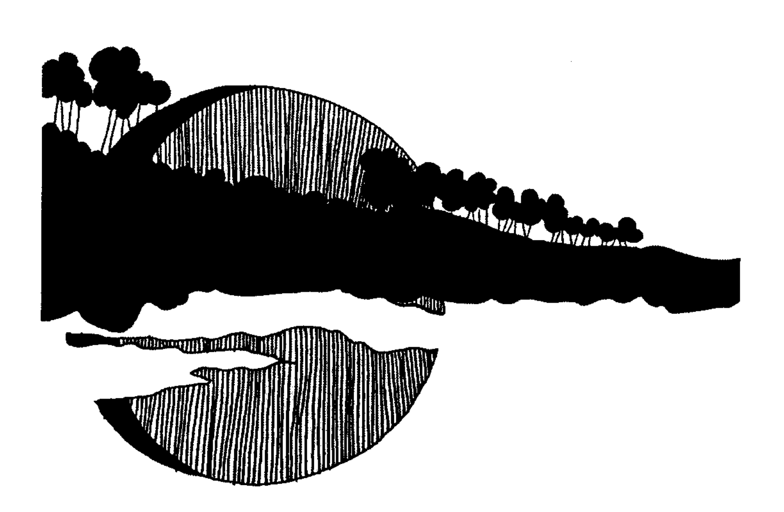
السبت..

يوم الغربة..

"قلبي يا بلاد غريبة..بتنورها الدموع"

عبد الحليم حافظ





لم يقل شيئًا عن الغياب..خلع ملابسه ..تركها كما هي عادته دائما على الأريكة..تمدد على ظهره في ذات الجانب الذي يفضله من الفراش

لم يقل أي شيء ..

حين بدا لي أنه أغفي..اقتربت منه..لم يبدُ مختلفا..ربما لو عددت النمش الذي يسكن جلده لوجدته أغزر..ربما لو أمعنت النظر لوجدت أن شعره قد طال قليلا ..أو أن الزمن الذي مر عليه ترك تجعيدة خفيفة تحت عينه..لابد أنه اختلف أو ربما ليس هو فى الأساس..

جلست إلى جواره.. حاولت أن أستدعي كل العبارات الحانقة التي كان يجب أن أقولها .. والتي رتّبتها بعناية شديدة منذ رحيله آخر مرة...

لكني فشلت!

فشلت في تذكر أيٍّ منها..كما أفشل دائما في ترك انتظار رجوعك من سفر

أقترب أكثر من الفراش ..مازال ينام كالأطفال..يختلج دون أسباب..ثم يكمل نومه بتنفس رتيب..

وعدتني يوماً أن تقلع عن غواية الترحال، وأن تكتفي بغواية القمر حين ينكسر بجسدي..

تنكص عن وعدك وتعود .. تعتذر فأغفر .. وأعرف أنــك ستقلع يوماً آخر إلى حيث لا أعثر عليك .. رغــم ذلــك لا أطوي شراعك، ولا أرفض منحك تأشيرة سفر..

أعوض غيابك في الحنين، وأتفقدك في ملمس عطرك ودفء أوراقك .. وكل عاداتك الصغيرة التي لا تعرفها أنت، وأحفظ أنا مواقيتها وطقوسها

الغربة..تلك التي رافقت اسمك منذ التقتك عيناي حــراً في فضائها..لم تكف عن "معايرتي" ..ترقص في عينيــك "لــيس لكِ..ولو أراد".. الغريب هكذا يسمونك على الشاطئ حيث تجلس تنتظر سرباً مهاجراً من نوارس الحنين..تنتظــر عامــاً أو اثنين..تغلق نافذتك دونك .. وتأتي إليّ لتنام

هل جاء بك التعب ؟

وأنا ؟ أين أذهب بتعب انتظاري إن لم يكن لي سواك ؟

لا تجيب .. آوي إلى حضنك من بعيــد .. أســتعيدك في الجوار .. أقترب حتى لا يبقى مجالاً لابتعاد..

دعني أصارحك بالحقيقةَ: أنتَ لي .. ستفتح عينيكَ الآن .. تعيد تكويني على جدران ذاكرتك .. تبتسم حتى تمنحني شعورًا بالاكتمال .. ستربّت على يدي .. ستهمس: دعيني أنام

أكتفي بأنك مازلت تعرفني .. أخفض الـــضوء في الغرفـــة
وأتحرك نحو الباب .. همهمتك تلك التي

تنادي فيها بلا اسم على وطن لا أعرفه، توقفني..

لحظات فقط .. يراوغني طيفك وتمسك بي حقيبة ســـفر ..
لحظات فقط .. لكنني أعرف أنها لن تكفيك حين تصحو غداً
لتعرف أنني لست هنا.



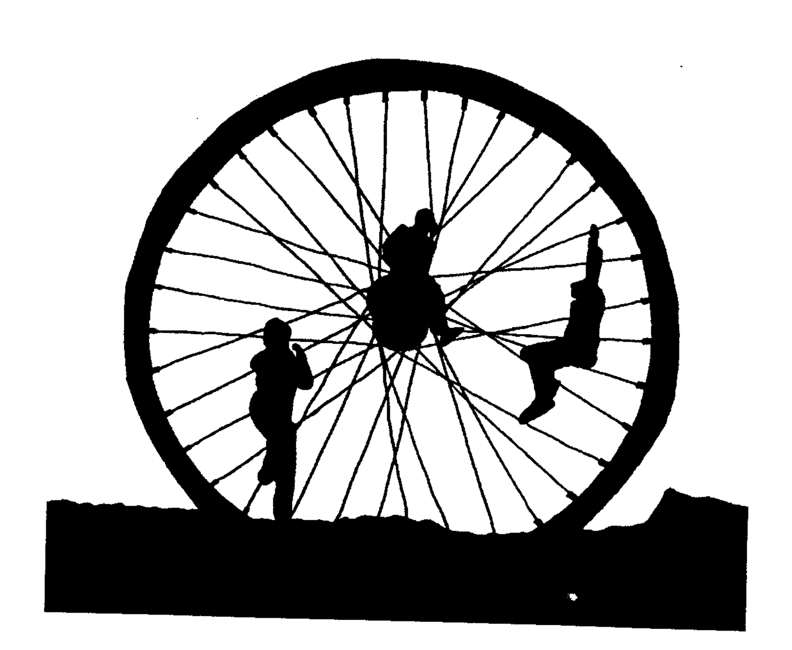
الأحد..

يوم الشوارع..

الحكمة تنادي في الخارج.في الشوارع تعطي صوتها

.سفر الأمثال ٢٠:١





"الحياة دهسانا كلنا يا باشا...دايسة علينا بالجزم.."

تنبت الكلمات بذهن الرجل العجوز الذي كلفتـــه الحيـــاة أكثر من مجرد ستين عاماً.. في الممر الضيق يجلس على كرســـي خشبي لا يكف عن الصرير.. يرفع بصره للجندي بجـــواره... "كتر خيرك يا بني".. ثم يحول ذهنه للافتة أمامه..

"وكيل النيابة"..

الكلمة مخيفة جدًا حتى بالنسبة لرجل انتهى تقريبا من كل مهمات الحياة.. "الستر" الذي كان مطلبه الوحيـــد في الحيـــاة بـــات مهـــدداً.. مـــن الـــصفة المرســـومة بـــالخط الآلي على اللافتة النحاسية أمامه..

هو الذي لم يدخل قسم شرطة إلا لاستخراج بطاقتـــه.. أو لاستكمال أوراق وفاة "المرحومة".. التي يحمد الله أنها ليـــست موجودة الآن..كي لا يغتالها القلق عليه ...

" دا أنا كنت رايح الشهر العقاري.." يتحدث إلى اللافتة..

لم يكن أحد ليصدق أنه سيبيع "مرزوقة" في يوم من الأيام.. السيارة التي جاءت بعد تدبير طويل من "أم العيال".. لم يعرف من أين أتت بالمال.. كان يترك لها تدبير أمور المـــصاريف.. لم يتحمل أبدًا ضغط التفكير في ما إذا كان الشهر ســـينتهي وفي البيت ما يكفي..أم لا..

"ياحضرة الوكيل.." نادته ذات أمسية صيفية..

"مش آن الأوان بقى نشتري عربية؟"..

كانت قد دبرت كل شيء..

زوج إحدى قريباقا يبيع سيارته..

وهي كانت قد ادخرت مبلغاً ينقص قليلاً عن ثمن السيارة..

"ممكن نكلمه يهزها معانا شوية.."..

تقول وهي تطوح رأسها في الهواء كعادقا..

الشوارع كانت مزدحمة للغاية.. على الرغم من أن النهار لم ينتصف بعد..من المفترض أنّ الموظفين لم يغادروا مكاتبهم بعد.. لا يوجد ما يبرر ازدحام الشوارع هكذا..ليته لم يتأخر .. لكنه المعاش..لعنة الله عليه..منذ أن أحيل إليه..و لم يعد هناك ما يستدعي الاستيقاظ مبكراً..

"توكيل بالبيع..للنفس وللغير.."

يذكر نفسه طوال الطريق.. الحافلة مزدحمة بشدة.. يسأل جاره في الوقوف..

"هي التذكرة بكام؟"..

"جنيه.." يجيب دون أن ينظر إليه..

جنيه.. متى صارت الحياة بتلك الضراوة..من يملك جنيهـــا صباحيا..وآخر في المساء .. يحاول التسرب من بـــين الزحـــام حتى السائق..

"هتعدي على لاظوغلي يا أسطى؟"..

"إن شاء الله يا حاج.. تذكرتك يابا.."

يـــدفع إليـــه بالجنيـــه ويتلقـــى تذكرتـــه في صـــمت.. تمر محطات كثيرة..والزحام يزداد..ينهض شاب من الكرســـي الأمامي فيجلس بجوار السائق الذي يحصل التذاكر .. وينادي على المحطات.. ويعد الصاعدون في مرآته..ويذكرهم بالمفتش..

"رايح وزارة العدل يا أسطى..؟"

تسأله سيدة قبل أن تركب..

"هو فين العدل يا ست..العدل هو الله...أركبي"

يرفع بصره الـــذي انزلـــق منـــه إلى الأرضـــية الرماديـــة للممـــر الـــضيق للوحـــة المعدنيـــة "ماشـــفهوش يابيـــه.. أنا نفسي مشفتهوش..كنت قاعد جنب السواق

..وعيني ع الطريق عشان أنزل المحطة الجاية..ومشفتهوش.. مرة واحدة سمعت صوت الأمين .. وفي ثـــواني كـــان تحـــت العجل..مشافهوش يابيه.."

لم يكن يريد أن يبيعها.. "بس مش عاوز حاجـــة تعكـــر فرحة أحمد.."

يحب عروسه جدا.."أحمد" آخر العنقود ..حلمها الذي ظل يراودها كل مرة تكور بطنها بحمل .. أنا كنت قد اكتفيـــت بالبنات الثلاث.. أما هي فظلت تحلم بالولد..

"هبيعها عشان فرح أحمد ياغالية".. يفكر وهو يوقع باسمـــه على العقد..

"مبروك يا حاج.." يخرجه صوت المشتري من شـــروده... يتناول منه النقود.."والباقي مع شهادة المخالفات والتوكيل.."

"الست اللي نازلـــه وزارة العـــدل... " ينـــادي الـــسائق بجواره..ثم يميل عليه ويقول.."أنت اللي جايه يا حاج"..

طرقات جافة على البدن الحديـــدي للحافلـــة.. وصـــوت صارخ"أطلع يا هيئة.." السيدة متعلقة على الـــسلم.. يتحـــرك السائق ببطء..فتصرخ..ينادي أحد الواقفـــون.." حاااســـب ياأسطى"

يتوقف..

"مش قلت لك اطلع يابن الـــــ......" يصرخ بـــه أمـــين الشرطة.. "رخصك يابن الـــــــــــ.."

سيل من السباب انهال دون مبرر على السائق الذي مد يده بلا مبالة إلى أمين الشرطة حاملة رخصته..

تحرك الأمين يدون أرقام الرخصة في دفتره.. دون أن يتوقف عن السباب..

لحظة واحدة أنهت كل شيء.. تهدر السيارة لثوان.. ثم يُغرق الصمت الشارع.. قبل أن يبدأ الصراخ..

"مشافهوش يا باشا..الأمين طلع مرة واحدة قدام العربية وهي بتتحرك..أنا كنت قاعد قدام و شايف.. لو كنت مكانه مكنتش شفته...".



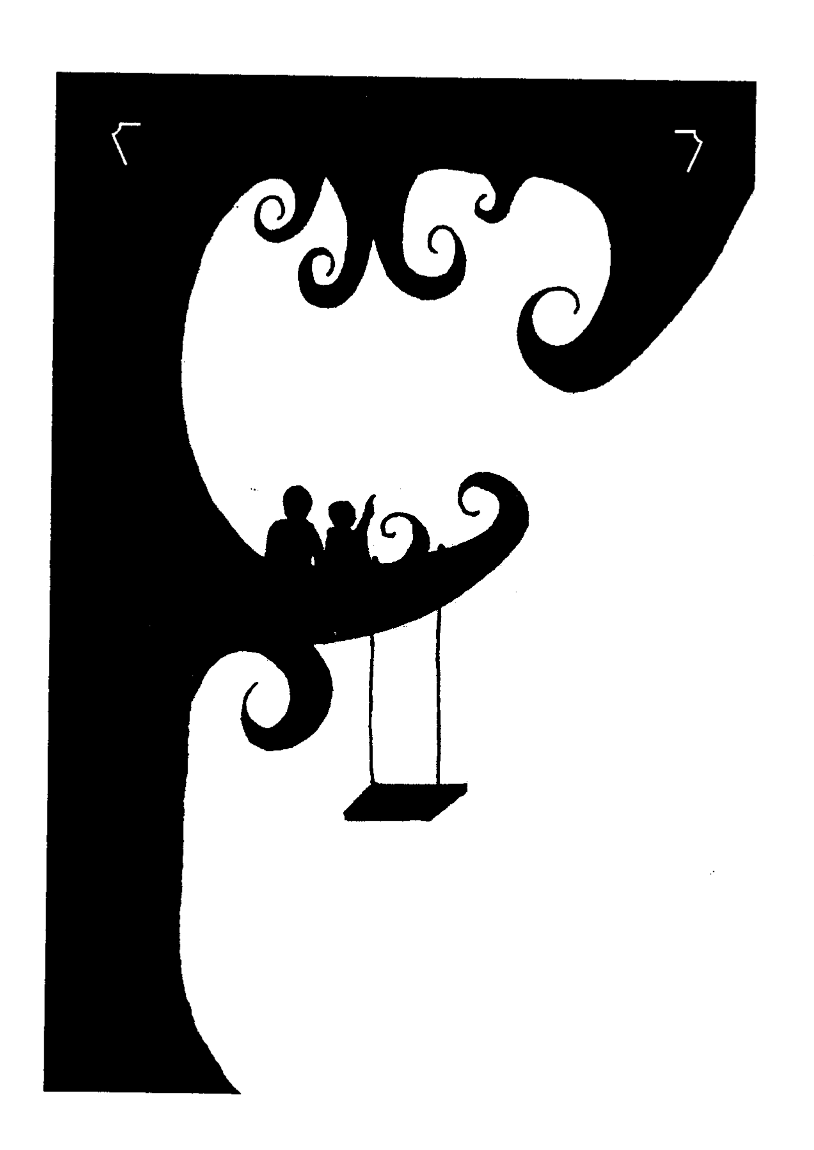
الأثنين..

يوم الحياة..

فوق كل تحفظ احفظ قلبك لان منه مخارج الحياة

. سفر الأمثال٢٣:٤







الليل يحل شعر المدينة الغجري الطويل..ويطلقه في طرقات روحي..أتململ في جلستي ككل العالقين معي .. الوقت يمر بطيئا تماما كحركة السيارات على الجسر الطويل الذي يربط طرفي المدينة الصاخبة دائماً

ستقول لي أنك تكره يوم الإثنين..حيث تستيقظ المدينة من غفوها..وتركض في طرقات الحياة.. وسأقول لك إن الحياة ليست سيئة مهما بدت لنا كذلك..

أين أنت الآن..ربما عالق مثلي على الجسر الذي يصر على هزيمتي ..

تدريجيا يصبح لي دائرة معارف.. أتقدمهم أحيانًا..أسير بحذائهم أحيانًا.. تنعكس أنوار كشافاقم على مرآتي ..ونتشارك مع الهواء بيننا أطراف أحاديث مبتورة قد تصنع حكايا كثيرة ..أمامي سيارة سوداء تبدو صامتة تماما بستائرها التي تجلب لها عتمة أضافية..فقط تخرج يد السائق كي تنفض رماد سيجارته.. إلى جواري تجلس أسرة في سيارة صغيرة..طفلتهم لا تكف عن صنع صخب ضاحك ..تذكرني بـ"مي" حين كانت طفلة..لم تكن تكف عن الحكي والغناء والتلويح للمارة ولجيران الإشارات المغلقة ..وكأن شيطان الثرثرة يتلبسها حين تدخل السيارة.. مي الآن صارت فتاة كبيرة أستطيع الاعتماد عليها في الاعتناء بأخيها ووالدها.

لم تستطع أن تمسك نفسك من الضحك حين رأيتني حبلي بها..تذكر.. ظللت تضحك بهستريا .. حتى التفت إلينا كل من بالمطعم..

"ستكونين أم يا صغيرة"..هكذا ابتدأت محاولاتك لمهادنة غضبي.. لم أكن صغيرة كنت ساعتها أقترب من الثلاثين ينهشني القلق ..وتشغلني مواعيد وكلمات الأطباء..كنت أنتظرها بشدة..تلك الطفلة التي تأخرت أكثر مما ينبغي..

السيارات تتحرك ببطء..كالزمن الذي يماطلني كل عام حتي ميعاد لقاؤنا ..مرة واحدة كل عام هو كل ماسمحت به الحياة ..

لماذا لم نحاول أكثر؟؟ ..سأسأل قبل أن تترك يدي يديك..

ولن تجيب..ربما لأن الإجابة لن تريح أياً منا..

يتوقف الطريق عن الزحف... غريب أمر انغلاق الجسر في تلك الساعة.. كنت دائماً تقول أنه لا أسباب منطقية للزحام في القاهرة... وكنت أضحك وأنا أقول .. إنك لم تعد من سكان المدينة ولا يحق لك انتقادها...

تدريجيا يخفت الصخب من حولي..يستسلم كل قائدي السيارات لحقيقة أنهم عالقون.. البعض يعبث في ترددات الراديو بحثاً عن نغم غير هدير المحركات..وآخرون اكتفوا

بالتدخين صامتون.. حتى الطفلة الصغيرة التي تحركت سيارة عائلتها قليلاً أمامي جلست في المقعد الخلفي تعبث بشيء ما لا أستطيع تميزه..

نظري صار أضعف.. الأربعينيات المزعجة.. تجبرني على ارتداء نظارة حتى أميز طريقي.. وأعيد مراجعة أوراقي وفروض الصغار المدرسية...وصارت هناك تجعيدة تحت كل عين حاولت أن أخفيهما بمعجزة المكياج الحديث..وهو الشيء الذي لن أناقشه معك في الحقيقة.. سنبدأ كالعادة بتداول أخبار العمل.. وسأسأل كما جرت العادة..هل فعلتها..؟؟

"الجاجور البيضا؟؟..." ... ستجيب

الجاجور كانت علامتك المفضلة في السيارات منذ أن كنا على ذاته نفس السطح نطير أولى طائراتنا الورقية.. كنت تمنح طائرتنا أسماء الموديلات الحديثة من الجاجور..تغرق الجدار خلف فراشك بصور مقصوصة بغير نظام لها..كل عام حين ميعاد لقاؤنا.. وقبل أن أدخل إلى مطعمنا الصغير.. أبحث في السيارات المحيطة عن جاجور بيضاء.. ربما تكون فعلتها هذا العام..

سأبحث أيضاً عن حلقة فضية تشتبك في أصبعك..وسأسألك عن النساء في حياتك.. ربما تحدثت هذا العام..وربما ستكتفي –كعادتك–بالابتسامة التي تتعمد الغموض...

يعاود الطريق الزحف..أرفع جسدي عن الكرسي..فــألمح من بعيد نقطة الاشتباك التي تبدوا كحادث.. أنقبض.. تمامــا كما أنقبض كلما فكرت أنه من الممكن أن تخبرني في جلــستنا السنوية أنك قد وجدها.. تلك المرأة التي تجعلك أنت التي تريد أن تكون..

في كل طريق يحملني إليك أفكر فيها..تلك المجهولة التي ربما تدخل إلى حياتك من باب الصدفة..أو كما خرجت أنا..مــن باب تصاريف القدر..

ربما سأضحك انفعالاً بها..أو سأغرق في مباركات خاليــة من أي ابتهاج..أعرف أنني سأنفضح أمامك..وستعرف..ككل عام .. أنني مازلت فتاتك الصغيرة التي تري فيك كل ما علــى فارس الأحلام أن يكونه..

أنحرف ببطء محسوب إلى اليسار.. أتبع -في ذلك- السيارة التي أمامي..نهر الطريق يضيق..مفسحاً مــساحة للــسيارتين المتصادمتين..سيارات النجدة ورجال المرور..

"يارب سلم.." أقول وأنا أضع كل وعــي في حــسابات المسافات الضيقة كي لا أحتك بالسيارات الأخرى..

تأخرت عليك كثيراً..أعرف.. لكنك تعرف أننا لا نتبادل أرقام الهواتف أبدًا حيث لا يمكننا الاعتذار..ولا نتناقش حــول

الميعاد المناسب للقاء.. فقط نذهب..في ذاته نفس اليوم ..نفس الموعد.. ونفس المكان.. ستغفر لي حين تعرف أن ما أخـــرني عنك لم يكن الصغار أو أبوهم..ولم تكن مهمات العمل التي لا تنتهي.. لم يشغلني عنك شيء..فقط حادث سير رهيب..علـــى الجسر..حيث "اندعكت" تماماً..سيارتين..إحداهما..جـــاجوار بيضاء.



الثلاثاء..

يوم النزق..

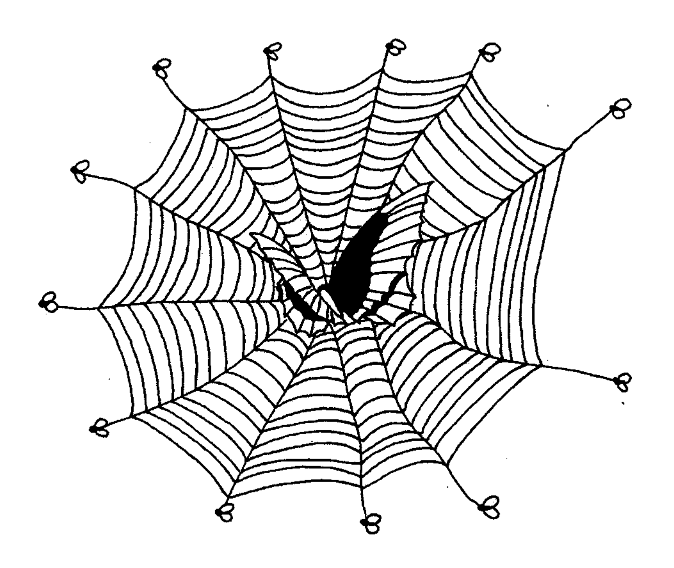
..

"و أن المساءات حضن النزق..

و كهف يلوذ به الصاخبين".

فواغي القاسمي







قلت لمزاجي الغامض أن بعض القهوة قد تفيد..وأنه يمكن تناسي -ببعض من المرارة- أن نيسان صديقنا المبهج على وشك رحيله الطويل..حاولت أن أتجاهل السكر..وواجهة المقهى حيث تطلب الأغصان ود بعضها..أو فرصة للرقص الثنائي على نغم من ريح.

الشارع هادىء..تخفت الحياة من المارة..-كأن الدنيا أغلقت دكاكها فلا يخرج إلى المدينة إلا متمردي الحزن..ومحترفيه-تمر امرأة داكنة مثلي..لم تكن تشبهك ولكنها ذكرتني بكِ ..تقف.. تستند على جذع شجرة.. بدت أنها على وشك السقوط..لكنها لم تفعل..ظلت معلقة-ككل أحلامي بعودتك أو بقاء نيسان أطول-لا تسقط فتستريح ولا تكمل مشيها في الظل الداكن الذي ترسمه على الطريق.

لم أعد مرتاحا-وهل كنت؟؟-لا أعرف ماذا علي أن أفعل..أنهض وأخرجها من تعلقها الذي يذكرني بحياتي كلها..أم أتركها في ضبابها .. وأتفرغ للتدخين وكتابة رسائل لا تصل لصديقي المبهج الموشك على الرحيل.

قبل أن أحسم ترددي-ربما لم أكن لأفعل -كانت قد أنهت هي تعلقها وسارت بخطوات خفيضة إلى لا مكان أعرفه.

لم تكن تشبهك قلت..فقط ذكرتني أناملها بأغنياتك العشر على أصابع البيانو الصغير..الذي ورثته مع ديكور مـــترلي.. لم أعرف حقا من أتى به..ظل مهملاً حتى ظهرت أنت..

في ليلتنـــا الأولي مـــررت بأناملـــك علـــى البيـــانو النائم..سألتك..تعزفين..هززت رأسك أن لا.. ثم اتجهت دون أن أشير عليك إلى غرفة النوم..تذكرين كانت ليلة انتهاء نيسان هي الأخرى حين وضعتي رأسك على صدري..وبكيت طويلاً لم أتكلم تركتك تفرغين كل الحزن الذي جاء معك إلى غرفتي منذ أشهر طويلة..

أيام طويلة مرت بيننا دون أن انتبه لها..كنت تخلعينها دائما وتدسينها في ملابسك.. ليلة واحدة تركتها تنسدل على نحرك ..قلادة فضية ينام في آخرها مسيح مصلوب بالطريقـــة الـــتي أفضله عليها..دون أوتاد في كفه..رسغاه معلقـــان في هـــدوء حول القائم الرأسي للصليب..بدا رائعاً بين نهديك..قلـــت رداً على غيابي متابعاً له:

"دا بتاع ألبير..."

لم أفهم

نهضت ارتديت نصف منامتي العلوية..خرجت إلى حيث نام طويلا..وبدأت العزف.

كانت أول ليلة ترفضي فيها نقودي..شيء في موسيقاك عبق البيت بخمر لا يمكن مقاومته..رسمنا الحب آلاف المرات ليلتها في كل الأركان التي يمكن أن تحتوي جسدان اكتشفا لتوهما نبعا من الجنون..

بعدها صار المكان لكِ ..تعيدين تخطيطه..تنشرين رائحتك الزنجبيلية.. التي لم أعد أتعرف على الموجودات دونها..في كل الزوايا..على كل الشر أشف .. والموجودات الحقيقية منها والافتراضية .. حتى أنني وجدتها تفوح من بتلات مفروطة على مائدة تجاور ثمار لا أعرف هويتها..واستغربت كثيرا كيف تركت رائحتك هنا .. على لوحة من زيت وقماش..

كراماتك كانت تتجلى في مزج الزمن والنسيان..بالموسيقي..أيام كثيرة كانت تمر دون أن يخطر ببالي خاطراً واحدا..كنت تغسلين ذاكرتي بوجهك..وتمنحيني أبيض مسا لم فقط لمرأك تعزفين...

كانت ليلة صيفية تلك التي تركتي فيها جانبي من الفراش..لتحبين كالأطفال على أربع..إلى الشرفة التي راح قمر صغير يغسل أرضيتها..عقدت فخذيك العاريين تحتكِ واستندت إلى السور القصير.. كنت تتلألئين تحت غزليات القمر لجسدك..مسامك التي عددتها ألف مرة- ربما أكثر أو أقل بشيء يسير- تنبت عرق خفيف..أعرف أن له تأثير مسكر..

أعتدل في الفراش..

"مين ألبير دا؟؟" ..أقول

غبت قليلاً في داخلك الذي بدا مزدحماً جدا للمـــرة الأولى منذ عرفتك.

قوست كفيك في حجرك..وكأنك تحملين شيئاً..

"كان هنا...وراح..."

تركت الشيء الخفي يسقط في حجرك..ولمستي بيمينـــك المسيح النائم في صفاء على صدرك..

الأسى..الذي أذبتيه ليلة انتهاء نيسان على صدري..عـــاد يحتشد على جبهتك..كرهت نفـــسي ســـاعتها وكرهتـــك أيضاً..وكرهت صمتك الذي طال ..وددت لو تصرخين..لـــو تخبريني أنه قتلك ألف مرة..أنه خانك..أستعملك ألف ليلـــة ثم تركك للشارع.. علمك الموسيقي فقط مـــن أجـــل مزاجـــه المنحرف..فقط تمنيت أن تفعلي أي شيء..وأن يكون هـــو أي شيء..سوى من تمنحينه كل هذا الأسى الشفاف الذي يليـــق بمسيح مخلص .

أيام طويلة غفيت فيها على فخـــذي في صـــمت..تـــأثير الموسيقي يخفت في هواء المترل..ويسمح انحـــسارها لـــضوضاء الشارع بالولوج.

لماذا أكتبك الآن..بدلا من مقالتي عن نيسان الذي يرحـــل مبكرا..والتي قد أتلقى عنها-خلافا للنقود- مجموعة صغيرة من رسائل فتيات حالمات يصفنني بالرائع ولولا صورتي ذات الشعر الأشيب التي ستجاور بالضرورة كلماتي..لقلن أنهن يحببني.

ولا أعرف كيف رحلت..كنــتِ هنــا..ورحــت أنــتِ الأخرى..في بادئ الأمر كنت غافلاً عن معني رحيلك..أحدق في البيانو الصغير..وأقسم أنك مجرد هلوسة مررت بها من تأثير خمر سيئ.

ثم اجتــاحتني الثــورة..كنــت أطــارد زنجبيلــك في الزوايا..مفارش الطاولات المطرزة بالورود..أهشك عن الحوائط ومقابض الأبواب..أحرق أعواد لانهائية من البخور ..وأفــرغ زجاجات عطر حتى تموتي في الموجودات.

وحين تأكدت من أنك اختفيت تماما..أصابني الهلع..رحت أبحث عــن أي مــن بقايــاك..أتــشمم اللوحــات ربمــا وجدتك..الشراشف التي غسلتها.. الكراســي الــتي كنــت تمسحينها بمسامك الــتي تــترف خمــراً..وقبــل أن يقــتلني اليأس..التقيتك في نصف منامتي العلوية التي كنــت ترتدينــها دائما وتركتيها مع الملابس المعدة للغسيل.

حاولت أن أتركك أو تتركين خاطري..فلم يزدني ذلك إلا تعلقا بنصف المنامة التي ظلت طوال سنوات تحملكِ إلى...

ربما لو كتبت عنك..تــرحلين.. لم يعــد في العمــر بقيــة لأخرى..لكني بحاجة إلى أن استودعك مرة بالذاكرة وأرحــل وحدي..

أنحي نيسان جانبــا..كــي أكتــب عنــكِ..وأتجاهــل القهوة..وسيجارتي نصف المشتعلة..والحديث الهامس بين نادلي المقهى عن سقوط امرأة ميتة في آخر الشارع دون هوية تذكر سوي مسيح فضي ينام بهدوء على صدرها.

الأربعاء..

يوم الدلال..

..

"و احتسي من كئوس حبّي لحونا..

وارقصي رقصة الصبا و الدلال"

عبدالله البردوني





الشمس التي لا تعرف رحمة الخريف تتسلل من بين أضـــلع النافذة المغلقة..المترل الذي أعود إليه في السادسة من مساء غير مظلم كان خاوياً إلا من ضجيج عصافير الخارج التي تبحـــث عن فرع خاوي للمبيت.. على الطاولة الصغيرة جوار البـــاب حيث أضع مفاتيحي..ورقة صغيرة لا أهتم بقراءها..أمـــي لا تستخدم أبداً الهاتف تعشق ترك وريقات صغيرة تخبرني بها أين هي..

أمر بباب غرفة أبي..كم عام مر وهو لايسكنها؟؟ لا يشغلني العد.. رائحته دائما هنا..ومازلت أتحرك على أطراف أصابعي إذا مررت ببابه..ربمـــا يقـــرأ ..أو يحـــاول أن ينـــام وتمنعـــه الشقيقة..لازال أبي هنا..حتى لو أدعى هو أنه قد رحل.

في غرفتي أهيت علاقتي بالشرنقة الأنيقة التي أرتديها..أغافل نفسي وأدور حول نفسي دورتين..كنت صغيرة جـــداً حـــين ألبستني مدام بولين الفستان الأبيض الذي يكـــشف ســـاقيّ ..وحذاء فضي لامع..كان المفترض أن أقف وسط الفتيات وأن أدور حول نفسي رافعة ذراعي إلى أعلى وأنا أميل جـــذعي إلى الأمام..أميل بدلال وألامس أطراف قدمي..ثم أعود إلى أعلـــى من جديد كي أعيد دوراني مع الساعة حول نفـــسي كنـــت خائفة جداً..وأريد أن أرتـــدي الفـــستان الـــوردي ككـــل الفتيات.. لم أعرف وقتها أنني البطلة .. لم أفهم إلا أن الـــوردي يجعلهن كالأميرات..وكنت أريد أن أكون منهن.

أرفع جسدي كلــه علــى أطــراف أصــابعي..أدور في الهواء..أميل حتى ألمس الأرض بدلال استعراضي..أرفع نفــسي فيختل توازني ..استند على المكتبة الصغيرة .. عثرتي تــسقط بضعة كتب متربة وصورة لفتاة صغيرة- كنتها مــرة- تــسند رأسها إلى كفها الصغير..وينبت لها جناحان من نور..

"بيير"

لازال اسمه يجلب إلى روحي نكهة النعناع وإلى أنفي عطره الناعس

على العتبة الخارجية لمترلنا كنت ألتقيه مبكــراً دائمــا..و لم أفهم لماذا يستيقظ مبكراً هكــذا إذا كــان لــيس ذاهبــاً إلى المدرسة..

ألوح له وأنا أسئلة "يعني إيه بيير يا بيير؟؟"

يتوقف عن مص حبات النعناع..يــضم ملامــح وجهــه مفكراً..ثم يقول بعربيته المضحكة.."موش أعرف"

يناديني قبل أن أركب حافلة المدرسة

"صورة إنهارده"..

يعني أنه يريد تصويري اليوم..أهز رأسي..وأنا أعرف انه لن يصورني اليوم وأنني سأعود إلى كتبي وواجباتي وسأنام مبكــراً ربما قبل أن يعود هو إلى البيت

أجلس على أرضية الغرفة الباردة..كدرجات السلم حيث جلست هاربة من الضجيج بمنزلنا الذي أتشح بسواد وقهوة.. أسندت رأسي إلى كفي وانتظرت أبي أن يعود كي يعرف كل الباكيات بالداخل أنه لم يذهب..أن يدسني في صدره وهو يخبرني أن كل الأمور ستكون بخير.

tout ira bien…

"ستكون الأمور بخير.."

أرفع بصري إلى بيير.. كان يعيد كاميرته إلى جرابها..مرر كفه الكبير على رأسي.. وابتسم..شيء في عينيه الواسعتين كان من أبي..ساعتها شعرت أني لن أفقد أبي أبداً وأنه سيظل يطل علي من الأعين المشرعة على حياتي..كعيني بيير.

تحسنت فرنسيتي بشكل ملحوظ في الأشهر التي تلت وفاة أبي..مدام ميرفت ترضي عن لكنتي..وأحصل على درجات أفضل..وأبقي أنا وبيير على تحيات الصباح بيننا

Comment vas-tu Pierre?

تفعم أنفي رائحة النعناع..يبتسم ويقول

bien cherie

يشير لي مودعا..أركب الحافلة ويحمل هو كاميرته إلى طريق لا أعرفه..حين ينسحب الليل إلى شوارع المدينة..يعود..ليكمل

عملا هادئا في شقته على أنغام رشيقة ربما لمغنيات فرنسيات يحلمن بفرسان أحلام من خيال أبيض.

أنتهي من واجباتي..وأذهب إلى الشرفة..أتفقد وجوده..ربما كان يدخن فنتبادل الحديث سريعا..

Pierre..comment est la mort?

صمت طويلا..وجهه للسماء التي لم تجد على الليل بنجمات تكفي الأحلام المعلقة..لم أفهم لمَ يستدعي الموت منه كل هذا التفكير.. بالنسبة لي بدا بديهيا جداً..أنه يعني الفراق

calme, j'espere

احترت كثيرا في إجابته..لم أفهم كيف يكون الموت هادئا..كما يتمنى..ساعتها بدا بيير غامضا كالموت ذاته..بتفاصيل وجهه الغارقة في الظلام.

لم أعرف عنه شيئا سوى رائحة النعناع وكاميرته التي يحملها.. أمي قالت لي يوماً بعدها إن الرجال لا تكف عن الرحيل..ربما لهذا رحل بيير..دون وداع..

في صباح صيفي وجدت أمي مظروف يحمل اسمي في صندوق البريد..كانت صورة لفتاة صغيرة فقدت للتو أباها تجلس على درجات سلم منزلها وينبت لها جناحان من نور.

على ظهر الصورة كُتب بخط جميل

tout ira bien

الخميس

يوم .. البهجة

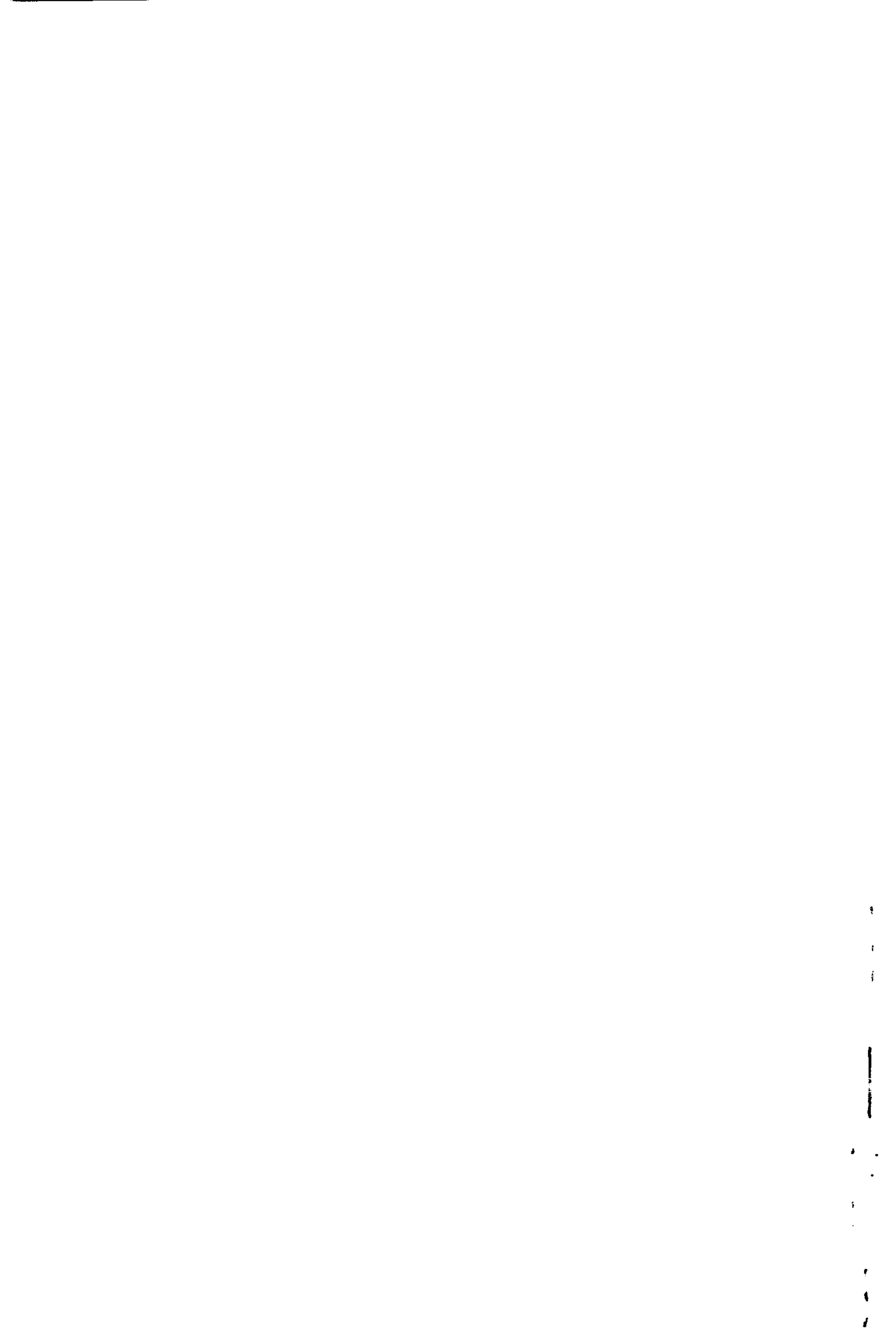
..

"واحد مد رجل..

اتنين استعد..

تلاتة..ابتدي"

من أغاني الطفولة





" if you want to be happy..

"شد اللحاف..وصلي ع النبي.."

تضايقني صرخات المنبه..ونداء أمي الذي لا ينقطع..

"ياله..هتتأخري.."

أدس رأسي تحت الأغطية.. وأردد الكلمات التي تتقافز إلى ذهني كل صباح..

"if you want to be happy.."

لا أكملها.. تشد أمي الأغطية عني..ترفع جذعي من وضعه الأفقي..

"ياله..صحيان..هنتأخر.."

أفرك عيني بكلتا يدي.. كأنني أدس فيهما النعاس..كـــي لا يفارقني..

"ماما..مش عاوزا أروح المدرسة إنهاردة.."

"وبعدين.." تنهي أمي النقاش بشفتين مزمومتين في إعــلان واضح أن طلبي قد تلقي ما هو متوقع من رفض..

أنهض مستسلمة.. قبل أن أبدأ في الطقوس الصباحية أتفقد جدولي الصغير..

"دا إنهاردة الخميس.." أقول متهللة

اترك النعاس دفعة واحدة .. وأرتدي قبل ملابس المدرسة الكثير من البهجة..

الخميس حيث ينتهي اليوم الدراسي مبكرا بحصتين كاملتين.. وتفرش الحارات الضيقة بالأولاد يلعبون الكرة ويجعلون من حقائبهم عارضات لمرمي من الفراغ.. أما نحن الفتيات..فيسمح لنا باحتلال منصة العلم.. من أجل دورتين من "شيك ع العالي".. بعدها نتفقد الواجهة الزجاجية لمحل الخردوات الذي يحتل الناصية نبتهج للعبة جديدة تأخذ وضعها المغري على الرف الزجاجي..نفكر في ما قد ندخره حتى نحصل عليها..وما قد نطلبه كهدية لدرجة نهائية في الحساب..

وحين نلمح أبلة وداد مدرسة اللغة الانجليزية..نطاردها بالغناء..

If you want to be happy

شد اللحاف ..وصلي ع النبي

تنظر لنا من فوق منظارها الطبي.. تلوي شفتيها..ثم تسير مبتعدة.. لم نكن نحبها.. لم تكن تضربنا ولا تسرف في العقاب..لكننا فشلنا في تقبل منظرها الغريب..منظارها السميك..وملابسها الرجولية..

الخميس.. يوم مخلوق لتعاطي الفرح.. أخرج من حارة الأربعين حيث منزلنا .. أزن حقيبتي بكتفي كي استشعر خفتها عن أختها أمس.. أتفقد الشارع الضيق.. لو ركضت الآن لن أدهس.. تقفز الحقيبة ثلاث مرات فوق ظهري قبل أن تهدأ على الضفة الأخرى من الشارع الثائر دائما كنهر شاب..

أمر إلى شارع الألفي —والذي لا أعرف لماذا يدعونه شارعا إذا كان أضيق بكثير من حارتنا.. بعد أن أتفقد ناصيته التي يسكنها مسجد أثري صغير.. تقول أمي أن مخاضي جاءها إليه ذات يوم حار ..

الشارع المزدحم بالمرايل الكحلية التي تجعدت بفعل أسبوع طويل..يتلوى مرتين ثم ينتهي بالبوابة الحديدية الصدئة لمدرستنا.. والتي يتلكأ الجميع قبلها..صغارا ومدرسين..أبحث بعيني عن رفقي.. فأكتشف أنني ربما بكرت اليوم أكثر من المعتاد..

هو الآخر لم أجده..ربما في المرسم يجهز لحصتنا الأولى معه.. أنتظر يوم الخميس بصبر شديد..وبفرح غامر لأنني سأراه..

مازلت أذكر صدمتي الأولى حين اكتشفت أن لون عينيه لا يشبه باقي البشر الذين أعرفهم..أزرق لا يكف عن اللمعان..

لم أستطع أن أتكلم.. وفقدت النطق تماما حين سألني ما اسمي.. ردت عني زميلاتي أبتسم ثم أنتقل للتي تليني..

يومها قالت لي أمي أن هناك بشر بعيون أكثر ألوانا من خاصتي.. واعتقدت أنا أنه الرسم الذي يدرسه ربما أصابه بشيء ما مميز في عينيه..

بعدها اكتشفت أنني أجيد الرسم.. كان يحب ألواني..ويقول إنني على دراية ما بالخطوط.. لم أفهم..فقط اكتفيت بمواصلة الرسم طالما أن هذا سيجعلني في الدائرة الخرافية للألوان..

مع الوقت صار الأحمر يعني أن أشعر بالحرارة..والأزرق بمزيج من الدهشة والارتياح..الأصفر خلاق طالما بقي هادئا..

مع الوقت تراكمت فوق فراشي نوافذ تنفتح على حدائق ومنارات تتعالى على بحار غضوب..

الرسم صار مساحة للبحث خلف الألوان من أين جاءت.. وللابتهاج دائما.. بالخميس

ينتهي طقس طابور الصباح مملاً كما بدأ..ننظر للقائم المعدني الصدئ الذي يرتفع عليه العلم..وبثقة شديدة نقول

"تحيا جمهورية الحديدة المصدية.." لم ننكشف أبدا طوال سنوات دراستي.. ربما لم يفهم أحد ماذا نقول..ربما يفهمون ولا يكترثون..

في المرسم..تجلس أبلة نيفين مدرسة الرسم الأخرى تتنـــاول إفطارها وجهها الصغير لا يتناسب مع جسدها الضخم..تشير لنا بالدخول.. الوجوم يعتلي وجوه الجميع..نبحث في جنبات المرسم عن وجه صبوح بعيون زرقاء..فلا نجده..

تنتهي من "حشر" شطيرتها في فمها..تقول بخدين متورمين..

"أستاذ خالد ساب المدرسة..أنا هاخد فصلكم لحـــد مـــا ييجي مدرس تاني..يا له طلعوا كراريسكم"

تنتهي البهجة.. أخرج كراسي..فلا أجد الألوان.. شيء ما قاتم حل بالجو.. شيء أخذ الألوان من أقلامي وكدسها كلها فوق جفني أبله نبفين وشفتيها..

"أبله نيفين..أكلت الألوان.."

أقول لصديقتي وأنا أستسلم لليوم الدراسي.. الذي ينتـــهي بطيئا جدا اترك الرفقة ليلعبن "شيك ع العـــالي".. أعـــود إلى مترلنا مردده بسأم شديد..

if you want to be happy"

شد اللحاف...وصلي ع النبي"

رسائل إلى رجل...

لابد منه

وجاء فى الخبر..

أن عاشقة خمرية سقطت فى حليب حبيبها

حتى فاض سكرهما..على الأرض أنهارا

من دهشةً.. وبهجةً..

وخمرا- تعتق متأثرا بجنون إعتناق أحدهما للآخر-

لذة للشاربين

مفتتح





(١)

أكمل مجريات أنوثتي الصباحية...لاشيء يغريني بالتوقف أو التقدم.. سوى حلم غائم زارني ليلة أمس ..عن قمر طيب نام على فخذي بدلا من أن ينكسر فى ثناياي..

لم أكمل قهوتي..كانت مرة جداً..وكنت أنـــا في مـــزاج الحلوى التى أضمها إلى بشرتى.. فتنبت ياسمين وعطرا غامـــضاً من وجع خفيض الموسيقى..

الصباح كان غائما كوجهـــك حـــين تـــستيقظ نـــصف مغمض..وغاضباً كطفل لا يريد ترك الفراش..صـــباح غائمـــا كان ولكنه لم يكن كافيا كي أترك مجريات أنوثتي التى تتـــهيأ دائما لك..ربما التقتك في ركن منسياً من الذكريات ..أو على ناصية تشتري جريدة أو تطلب قهوة سريعة التحـــضير مـــن المقهى..

مخلوق أنت من سرعة..تـــركض في كـــل شـــيء منـــذ عرفتك..تجيد حلاقة ذقنك واحتساء الشاي الصباحي..وكـــي ملابسك في نفس الوقت..تمتص شـــفتي الـــسفلى وتـــداعب خصري وتكتب بيتين مـــن الـــشعر في دقيقـــتين ثم تـــركض للخارج..

وأنا على الضفة الأخرى منك..أحب أن أنجز كـــل أمـــور الدنيا في هدوء..أنوثتي تعلمني أن الهدوء هو كل مـــا تحتاجـــه الدنيا لإحداث أكبر قدر من الغواية..وأن حـــركتي الخفيـــضة الوقع..وجلستي التي تترك الوقت يترف في بطء شديد..أشـــياء كافية كي يجن رجل مثلك محاط بالجميلات بـــأمراة عاديـــة مثلي..

حتى في اكتمال شفتينا بالجنون..

جاء بغوايته-الحزن -يراود شبق روحي للحياة عن

نفسه...

ويطفئ حريق مرورك

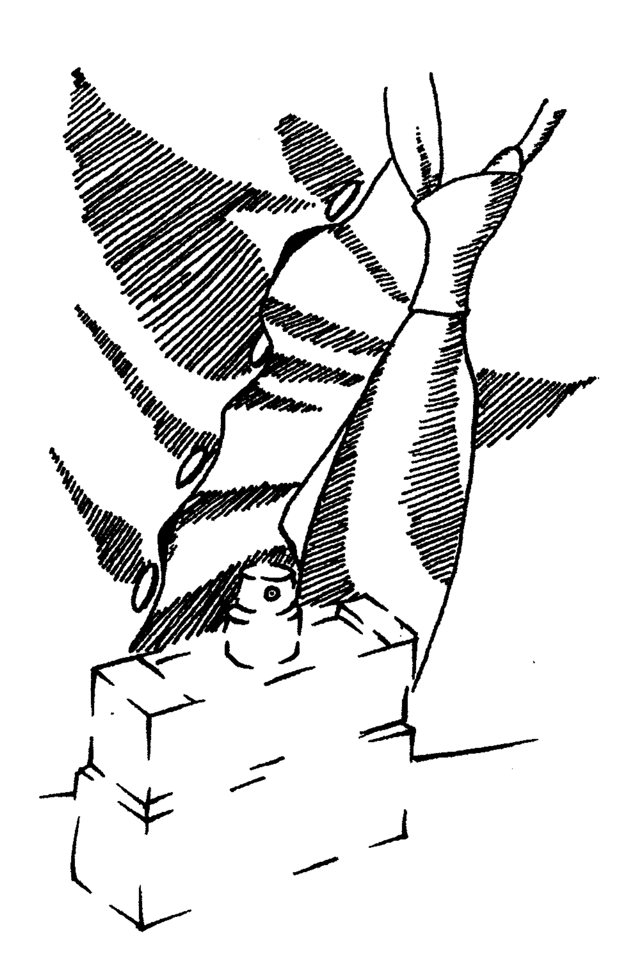
يدفن نصفه نابتة...

بدمي

كتاب صلوات الوجع

صلاة صريبة للرغبة





(٢)

دعينا نمر بما يجب أن نمر به..ولنكن صديقين..

يقول شاعري المفضل

لكن ماذا تعرف أنت عن الحياة غير أنها نسيج طيب من لغة؟؟...

أقول

هسيس سيجارته يعلو..ويتحول أغنية يكتب هو موسيقاها..فأصمت تماما ولا أدعي الفهم..

يوما ما سأخبرك بكل الأسرار الصغيرة التي أدسها بجوار قطع الحلي القليلة التي أملكها..وسأخبرك أنني ظللت سنوات طويلة أتبعك كمريدة مخلصة -وكعشيقة لابأس بها -فقط لأنني أحب رائحة التبغ في عرقك وعطرك وأمسياتك.. وأحبك حين تتجاهل أخطائي الصغيرة لكي ترد عليها بأخطائك الفادحة..

وأحب أن أسامحك فقط كي توجعني من جديد.. للوجع في روحي شهوة لا تنقطع.. ورجفة كالتي تحدثها رقصتك حافيا على جسدي..

سأخبرك يوما..بكل ماأردت أن أقوله لك هذا المساء.. لكني سأصمت اليوم..دعني أصمت..وأستمع إلى موسيقى دخانك الصامت الذي يرسم في الفضاء الضيق جدا بيننا صورة لرجل وامرأة اكتشفا لتوهما طعم العناق

النوم يصبح صعباً جداً إذا كنت تعرف أنك تموت..

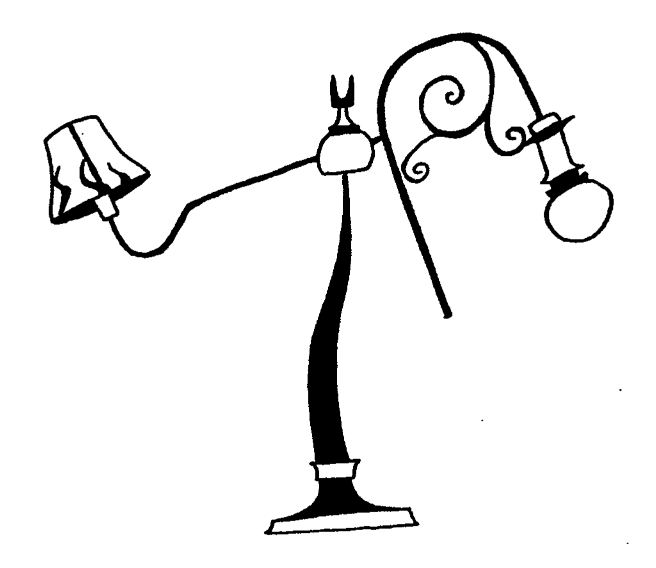
-أقول لطبيبي وأنا أرقص للوجع-

فالموت.. رقص شديد الشبه

بالبكاء

...

كتاب صلوات الوجع



(٣)

أعتقد أنه لم يعد من الممكن الآن أن أتراجع..لا نوم لليلة أخرى..ربما كان أفضل ما فعلته الليلة أنني لم أتمسك بالفراش وأقضي ليلتي ساهدة أقلب الوسادات..

أغير مرة أخرى قائمة الموسيقى..أختار مدخلاً مختلفا للقمر..ربما أنبت بقلبي لحنا يغير طقطقات السواد بروحي..

جال ببالي خاطر ليلة أمس/اليوم..أنني لو غيرت قليلاً من ألواني..لصارت الرؤية أوضح..ربما لو عجنت الرمادي بالأحمر..لخرجت الفراشات من صدري مفعمة بالدفء..ولو مزقت البني بالأخضر الداكن قليلاً..لصار شعري الغجري أكثر رقصاً مما مضى..ربما يزداد طولاً عن حافة كتفي..تلك التي كنت تقبلها قبل كل فراق..

لماذا نفترق أنا وأنت دائما فى كل حكاياتي..تعال أجلس هنا..هنا تماما حيث أعدك أنني سأنسى وجهك بالكلية..فقط أخبرنى لماذا ترحل دائما في كل الحكايا؟؟..لماذا تزور الشمس نافذتي وأنا وحيدة فى الفراش؟؟..مهما رافقتني إلى الدفء..أو الجنون أيهما أقرب

لماذا أغيب ماماً في فنجاني أبحث عنك؟؟..أبحث في غرفتي عن جورب تركته كي أرتقه لك..ربما نسيت ساعتك..فقدت

زراً..أسقطت سيجارتك رماداً على حافة النافذة حيث تحب أن تدخن وأنت ترمق المارة..

لماذا أنتهي إلى المقاهى وحيدة؟؟..ترسم قوانين انعكاس الضوء وانكساره صورتي على الواجهات وحدي..أعبث بقائمة الطعام وحدي..وأنتهي -مع ضحكة قصيرة- باختيار قهوتي المعتادة وزجاجة ماء..لماذا أدخن وحدي؟؟..وأتناول أقراص وردية في محاولة للسيطرة على قلبي..أطلق النكات.. والملاحظات..وأضحك للأطفال وحدي

لن أسألك إن كنت موجودا من الأساس أم لا..ربما إن بدت لي الإجابة..ساءتني..

لا أريد أن أعرف سوى..لماذا ترحل..؟؟وتتركني أرتدي عاداتك..لا أرتدي معطفاً واحداً مرتين بالأسبوع..ولا أنسق لونين من الأزهار في باقة واحدة..يضايقني كثيراً اجتماع عقبي سجارتين في المطفئة الخزفية..ولم أعد أطرق الباب كما كنت أفعل سابقاً...مرتين

صرت مثلك أتجنب الثنائيات..على الرغم من كونها اللغة الوحيدة التي تؤلف موسيقى الشارع..

أخبرني الآن..أو أترك لي ملحوظة على مرآتي كي أجدها في الصباح..لماذا ترحل دائما في حكاياتى؟؟..وهل إذا مزجت الرمادي بالأحمر..ستخرج الفراشات من صدري...أكثر دفئاً

كنت آخر العشاق صبابة..

لا يوجعني على باب قيامتي سوى أنني تركت

انتظارك إلى الأبد..

ولايسعني وسط كل خلالات الموت السريع سوى

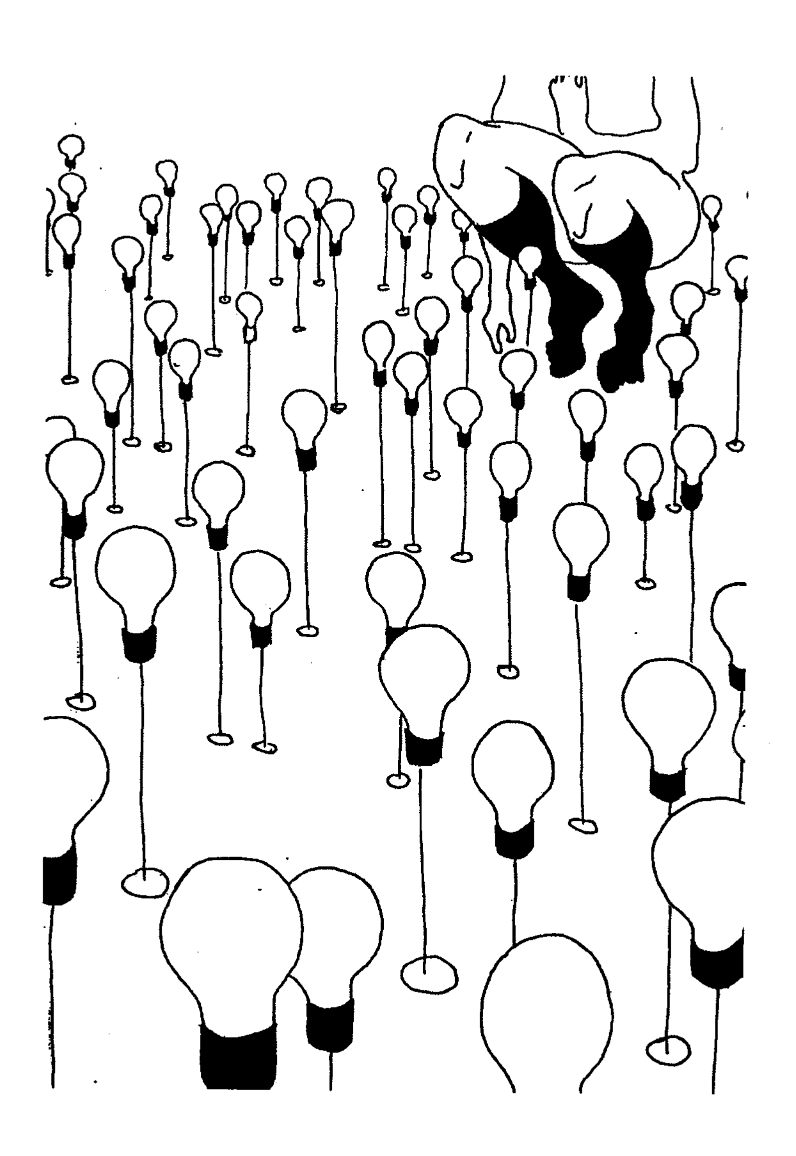
الهذيان

...

كتاب صلوات الوجع

ترنيمة فراق





(٤)

أفكر في كم أنك هنا..حاضراً رغم أصـــرارك المـــر علـــى الغياب..أعلق في عيني نظرة تصلح لمواجهـــة النـــهار الخـــالي منك..أنهي قهوتي سريعا وأركض إلى الخارج الـــذي فـــاجئني بسماء غائمة..

أسرع في خطوتي ربما لحقت بقطار هادئ يمـــنحني فرصـــة مراقبة الحياة من الداخل ربما لو أسرعت قليلاً أهرب من طيفك يشتري الجريدة أو يلوح لي خارجاً من الشارع الممدود بشوق إلى الميدان أنفاسي اقتربت من الانتهاء لكن نهر شارع المدينة لا ينتظر أحدا أسرع أكثر في الرقص مرورا بين السيارات المسرعة لو انتظرت حتى تنتهي أو حتى يغلق الشرطى الشارد في الوجوة التي يشكلها أسفلت الطريق إشارته فسأظل عالقه هنا للأبد أو قد يلحق بي طيفك فأخسر فرصتي-التي لاأريدها- في الخلاص

أصل إلى محطة بدايتي..قبل أن يبتلعني القطار ألوح إلى سماء الأخير من أيلول التي أغفلت الشمس في إشارة صريحة ..أنـــني قد خسرت كل محاولاتي في الفرار.. وأنني مازلت أشتق كـــل أفعالي من اسمك الذى ربما كان مرادفه غائب..أو على سفر..

أجمع أحرفك الأربـــع مـــن الأسمـــاء المعدنيـــة لمحطـــات المترو..أختفي في الزحام..وأدس أنفي في ياقة معطفي..ربما بقى

من عطرك شيء .. البائعات الصغيرات ينادين على بـــضاعتهن الملونة..أشياء من دلال وغنج وبهجة النعنـــاع..الـــتي تـــصف أنفاسك بكثير من الدقة.. إحداهن تدس في يدى قطعة حلوى وتبتسم.. أعيدها ليدها وأبتسم..الحلوى ياصغيرتي لم تعد تجدي مع أيامى..

للحظات ظللنا نتبـــادل الابتـــسام..ثم ناولتـــها لي مـــرة أخرى..فكرت أن أرفضها لكن شيء في لمعة عينيها جعلـــني لا أفعل..ترحل دون أن تنتظر نقودي..تكمل جمـــع بـــضاعتها المسكرة من علـــى أوجـــه الـــسيدات وأيـــديهن.. ودون أن تلتفت..تنزل في المحطة التالية

لا تجـــدني التبريـــرات لمـــا فعلـــت..ربمـــا رأتـــك في عيني..وربما..أدركت مقدار شهوتي لمطر يغسل وشم أصابعك على جسدي..

قبل أن تنتهي الرحلة..حياتي..اكتشف أن الشوارع اكتست بصخب خفيض ..للحياة التي ماتزال مصدومة مـــن مفاجـــأة السماء لها بندف من لؤلؤ ناعم..كان يدعى..مطر

أحتاج لموت خفيف

-الآن-

ربما تذكرت حياتي

...

ترنيمة جزع





(٥)

أضيف إلى وجه الصباح الهادئ قطعتين من سكر وأغنية هي المفضلة لديك على كل أغنيات الحب في العالم.. أكتشف هذا الصباح كم كنت جاهلة بالحب..وكم كنـــت أنـــت علـــى هدوئك الشديد.. وكلمات غزلك القليلة..أكثرنا قربـــاً مـــن ضفة العشق..

استند على الشرفة وأتابع المارة الصباحيين المزاج .مـــازال بعضهم نائما..يسير نصف مغمض نصف غاف في الحـــنين إلى الفراش.. طفلان يحاولان محاكاة خطوات والدهما الذي يحمـــل لهما الحقائب المدرسية المثقلة بخططه المستقبلية لهما.. بين يدي فنجان الشاي الخزفي الذي تعلمت منـــك أن أشـــرب شـــاي الصباح به.. كنت أشـــربه دائمـــا في الكـــوب الزجـــاجي الشفاف.. الفناجين كانت دائما للمناسبات..هكذا تعودنا في بيوتنا الاعتيادية التي لم نكن نخرج روميو وجوليت المرســـومان بدلال علـــى الـــصفحة الخزفيـــة إلا في الزيـــارات الهامـــة والمناسبات...

تحب أنت الحياة صباحاً..تقول إن المدينة امـــرأة مـــسكرة الضحكة حين تستيقظ.. تنفض ضباب النعاس من شوارعها.. وتختلج تقاسيم ملامحها بابتسام من بشر يـــشاغل وجـــوههم

التثاؤب.. لا تفوت المشهد الصباحي أبدًا.. حتى الأيام التي لم يكن عليك أن تعمل بها مبكرًا..

الشجرة التي كنت تدعوها نتالي..للاشيء سوى أنها تذكرك بفتاة صغيرة عرفتها أيام زياراتك الاخـــيرة لرومـــا.. أنبتـــت جناحات صغيرة من أوراق خضراء ترفرف ابتـــهاج بالـــدلال الذى يفرضه الربيع على الأجواء..

"من يسمي شجرة نتالي..؟"

أقول متعجبة...

"وما العيب في أن تكون نتالي... ومالعيـــب في أن تكـــون حتى بخيتة.."

أضحك..حتى تنبت لعيني دمعتان..تلتقط أحدهما بطـــرف أصبعك وتمتصها.. ثم تكمل احتساء شايك الصباحي الـــذي لايخالط جوفك في الصباح غيره..

نتالي صارت أكبر بعدة طوابق ياعزيزي.. وأزهرت مـــرتين منذ آخر مرة رأتك بها..وصار لها رفاق طيبين من طيور تتـــأوه بصخب كل شروق..

أغمض عيني وأنا أتلقى نسمة طرية على ثنيات وجهـــي.. الأشعة الطازجة للشمس تتسرب من بـــين مـــلاءات النـــهار الجديد..

من الداخل تأتيني الدقات السبعة للساعة التي اشتريتها كهدية للمترل .. البشرى الوحيدة الذي يحتفي بعيد ميلاد مترله..أنت.. مولع بالأعياد..تختلق المناسبات..وتشتري لسيارتك هدية..وتتذكر ميلاد الندبة التي تزين حاجبك الأيمن..

انتظر ظهورهما.. عند الناصية.. حيث يجلس بائع الجرائد..تظهر هى أولاً..تتابع العناوين المرصوصة على الرصيف.. يأتى هو ينتقي جريدة.. يبتسمان ثم يذهبان سوياً..

اعتدت متابعة ظهورهما البهيج كل صباح.. وأن أصدر عناوين يومئ بحركة غزلية سريعة من أصابعه لخدها.. أو ابتسامتها الخجلة كرد علي اصطدام قدري لكتفيهما..شجار خفيض ينتهي عادة سريعاً حين ينتقل هو إلى الجانب المواجه للسيارات وهما يعبران الطريق

أتذكر كلماتك كلما رأيتهما..كنت ترد كل مرة على اعتراضي الصامت بأنك لا تغازلني كما يفعل العشاق.. بأن الحب فعل هادئ..ومفعم بالدلال..

ألج الى الداخل مع تعال صياح الشارع بسياراته.. أضع فنجاني على منضدة قرب كرسيك المكسو بطبقات من تراب ورماد سيجارتك الأخيرة.. وأنسحب إلى فراشي..حتى يعود الدلال إلى شوارع المدينة..أو تعود أنت.

يجول بخاطري الله

فأحبك أكثر

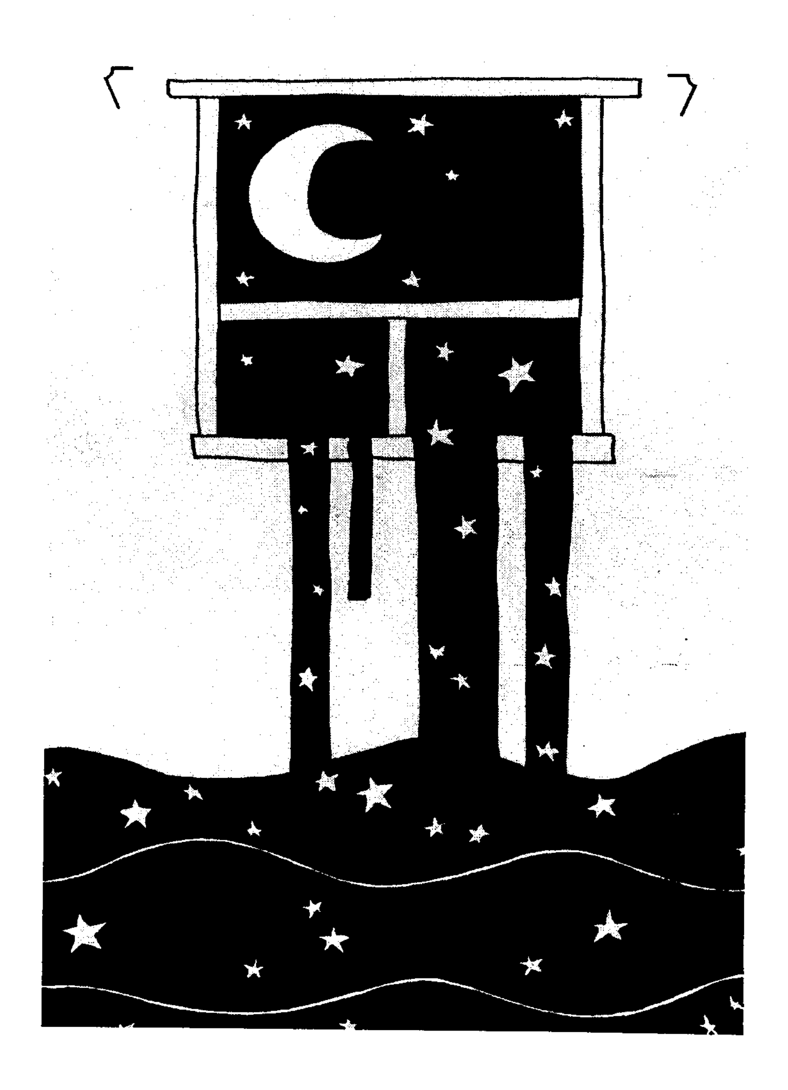
لأنك تربيتة الله على كتفي

بالفرح

...

خاتمة حلاة







(٦)

لا أذكر تفصيلا لماذا أحببتك..أذكر أنه كان هناك حب لطيف كالأيام الأخيرة من الصيف حين تتلون سماواته بكتل خفيفة من سحاب..لا أذكر لماذا تمسكت بك كل تلك السنوات؟؟...أضع الطبق الأخير في المصفاة..وأترك نهراً صغيراً من الماء يتزلق منه إلى كفي التي هجرتها شفتيك بوقع تراجعي منظم..تعود مرهق ليلة..ونقضي معا أخرى عند والدتك..وفى الأخيرة..نتشاجر لا لشيء سوى أنه يبدو موسما مناسبا للشجار... قبل أن أترك المطبخ..أتأكد من أن كل شيء كما أريده..جافا ومنظما..أبتسم له..ثم أطفئ النور..

صارت الشقة الآن نصف مظلمة..أدخل الغرفة بخطى تخاف أن تلمس الأرض..أتناول ملابس الصلاة وأخرج كالظل..هادئة كما دخلت.

لم تكن تصلي ..تكتفي بركعتي الصباح كنوع من استجلاب البركة و لم أفهم كيف سامحتك على هذا واستكملت طريقي متفادية حرارة الحياة..بظلك.. أستغفر الله من كل ذنوبي..أهش وجهك النائم بسلام عن خاطري.. وأبدأ صلاتي..

"أنا مرهقة يارب..صار من الصعب تحمل العمل في الصباح..الشوارع في منتصف نهارك..أعمال المترل حتى الليل..أنا مرهقة يارب..أنا افتقده"..

أمسك نفسي متسللة إليك ثانية..أستعيذ بالله من شـــيطاني وأكمل صلاتي..أكمل إظلام الشقة..تجاوزت منتصف الليـــل ولم يعد هناك سوى ساعات قليلة للنوم...أتسلل من جديـــد كي لا أوقظك..الحدود شديدة الإظلام التي يرسمها جسدك في العتمة التي يخففها مصباح مضاء في الشارع ..تجعلني أفهم أنك تشغل من جانبي من الفراش الكثير..أقف كي أتأملـــك..كنـــا خفيفين كريشة تعرف علـــى غـــير عـــادة رفيقاتها إلى أن تذهب..وأمام صمتي الاعتيادي اخترت أنت أن تجاهر بحبك ..

أين ذهبت ريشتك مع الريح وتركتني؟؟

أدس نفسي في الفراش..تتسل يدك إلى كتفي كي تربـــت عليه..ثم تجد رأسك إلى صدرى طريق

الفهـــــــرس